الكتب

نفسية الرسول العربي

محمد بن عبد الله

السوبرمان الأول العالمي

تأليف السيد لبيب الرياشي

بقلم الاستاذ عبد الفتاح السرنجاوي

هذا هو العنوان الذي جعله الأستاذ « لبيب الرياشي » لسلسلة من الرسائل في فلسفة الاسلام ، أخرج منها الرسالة الأولى التي نقدمها الآن لقراء « الرسالة » ، والأستاذ الرياشي كاتب مسيحي له مكانته بين أدباء سورية الشقيقة ، ثم هو فوق ذلك نحور بعربيته متحرر من قيود التعصب ؛ ولعل هذه الميزات هي التي تجعل من الرياشي وصحبه مدرسة جديدة هي (مدرسة المتجردين المتطهرين) التي تعلي للحق منبرا تدأب على حمايته ورعايته . وانك لتلمس سمو هذه المدرسة ونبلها في مقالة الرياشي في كشافة الكتاب الأول ، إذ يقول :

« لنتجرد .... ولنتطهر .... لنتجرد ولنتطهر أيها الانسى من جذام التعصب وأثرة الجنسية »

والرجل بهذا ينسى كل شيء سوى أنه من طلاب اليقين ، وليس من شك في أن هذه الدراسة البريئة للسيرة النبوية الشريفة هي التي حفزت الرياشي على تحليل نفسية الرسول الكريم ، وجعلته يعترف فوق ذلك بفضائل هذه الدراسة إذ يقول :

« ما ندمت على شيء في حياتي ندماً عصبياً ساحقا مثل ندمي على جهلي نفسية الرسول العربي والامام الأعظم العالمي محمد ابن عبد الله » . ذلك ما يقوله رجل يمثل الأقلية الدينية المندمجة في ذلك الشرق العربي ، الذي ترفرف فوق ربوعه راية التسامح في الدين وتسوده روح الأخاء في القومية العربية العزيزة ، والرياشي يصف محمداً بأنه (السوبرمان الأول العالمي) مستعيرا كلمة (السوبرمان) من الفيلسوف (نيتشه) وهذا الأخير أطلقها على الانسان الأكمل الذي يجمع إلى مشاركة البشر في خصائص الجسم سمو العقل والروح إلى حد يجعله حلقة الاتصال بين الله والناس ، ويعمد الكاتب الفاضل إلى الموازنة بين عظمة محمد وغيره من قادة الانسانية ، فهو يقرر في مستهل بحثه أن العظماء سرعان ما يفقدون هيبتهم إذا هم خالطوا الناس طويلاً ، أما محمد فلم تكن مخالطته للناس وتبسطه في معاملتهم إلا عاملاً على رفع مكانته وإعلاء شأنه بينهم . وينتقل المؤلف إلى ما كان من توسط أبي طالب بين قريش ومحمد في أن يسودوه عليهم ويزوجوه أحسن بناتهم على أن يتركهم تسفيه ديانتهم والدعوة إلى الله ، ويحلل جرأة محمد في رده التاريخ الخالد ، ويقارن بينها وبين جرأة ميرابو خطيب الثورة الفرنسية ولوثر زعيم الاصلاح الديني وأبي بكر وعمر ، والرياشي في ذلك التحليل موفق أحسن التوفيق ، فهو يوضح أن جرأة بعض الزعماء والمصلحين تستند إلى قوة الجماهير وصولة الجماعات ، بينما ترتكز جرأة البعض الآخر على جلال الامارة وهيبة السلطان ، أما محمد ابن عبد الله فلم يتح له من ذلك شيء ، فجرأته لا تقاس بها جرأة ، وإقدامه لا يعدله في التاريخ إقدام

وبرغم ذلك التوفيق الجلي لاحظت أن الأستاذ وهو يعالج بعض النواحي يجتهد في ضرب من التحليل أرى أنه ليس من التاريخ ولا من فلسفة التاريخ في شيء ، فهو يتساءل عن السر في خرس الجماهير مرات وسنوات إزاء الرسالة المحمدية ، وعن السر في عدم إراقتهم دماء في هذا السبيل ، ويقرر أن ذلك وقع برغم صياح أبي لهب وضجيجه ، وان ذلك كان لمعجزة ، وأن هذه المعجزة هي أن شخصية النبي أحلت في نفوس القوم إيماناً جعلهم « يحترمون ويهابون ويؤمنون » . ليس ذلك يا سيدي هو الواقع ،

إنما الواقع الذى لا يقبل الجدل هو أن العرب حين جهر النبى بدعوته آذوه واستغربوا فى إيذائه حتى أخرجوه من عشه مهاجراً إلى المدينة ، وأنهم كانوا فى ذلك معاندين مكابرين لا يحترمون ولا يهابون ولا يؤمنون ، وأن شخصية النبى لم تغن من ذلك الايذاء شيئاً . وليسمح لى الأستاذ الجليل أن أؤكد له أننا لو ذهبنا مذهبه من أن الرسول جهر بدعوته فاستجابت له الجماهير لأن تأثيره على محدثيه ومعاشريه تأثير النوم المغنطيسى فى المنوَّم كما يقول : لو صح يا سيدى أن ننسب ذلك لمحمد لهيأنا للمعترضين فرصة للطعن فى دعوته فيقولون إن هذه القوة لا شك تبهر العرب بالباطل كما تبهرهم بالحق ، والواقع يا سيدى أن العرب سخرت من محمد ومن دعوة محمد وليس يخفى خبر المستهزئين بالرسالة من قريش أمثال أبى جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى وأبى لهب بن عبد المطلب وعقبة بن أبى معيط والوليد بن المغيرة عم أبى جهل والعاصى بن وائل القرشى والد عمرو بن العاص والنضر بن الحارث العبدرى وغيرهم ممن روى البخارى أخبارهم وحفلت بها بطون التواريخ

* * *

وفى موضع آخر من الرسالة يتناول المؤلف الكلام عن عدل الرسول الكريم فيسوق بعض الحوادث التاريخية التى تشهد بحبه للحق وانتصافه للناس حتى من نفسه . ثم يجاوز هذا الى تحليل صفة العفو والغفران فى نفس محمد ، وهنا يمحو تلك المعجزة التى كان قد أثبتها للنبى ، ويقر بما ناله من الأذى على يد قريش إذ يقول :

« أباحوا دمه ودمهم ، وعلقوا فى ذلك الحصار وتلك الاباحة صحيفة فى جوف الكعبة طمأنة للمقتدرين على الأذية ، وزادوا بأن أجازوا المعتدى بثروة » (ص ٩١)

ويجيد الأستاذ فى تحليل ما كان من شأن الرسول الكريم مع قريش بعد فتح مكة من تسامح وغفران عظيمين ، ويوازن بقوة بين هذا التسامح وذلك الغفران وبين ما أتاه برتوس قائد الغال بعد دخول روما وما صنعه بونابرت بعد دخول بولونيا ، فيبدع فى تحليل نفسية الرسول ويثبت سموه على غيره من قادة البشر وعظماء الانسانية ، ولعل أجل ما ساقه فى ذلك الموضع تصويره الرسول غالباً ظافراً يقف من المغلوبين فيضرب للتاريخ أعظم أمثلة التسامح والديموقراطية إذ يردد قول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »

ثم يجاوز ذلك إلى مخاطبة الخائفين من المغلوبين بقوله :

« إذهبوا فأنتم الطلقاء »

هذه لمحة سريعة لذلك الكتيب الذى يقول مؤلفه الفاضل إنه الأول من الثلاثين التى يعتزم إخراجها فى فلسفة الاسلام ، ونحن نهنئ الكاتب بجهده الجميل الذى يعد نوعاً جديداً فى أدب السيرة المحمدية الشريفة ، ونرجو للمؤلف التوفيق فى إخراج بقية الأجزاء

البرنجارى

لجنة التأليف والترجمة والنشر

سلسلة المعارف العامة

رأت لجنة التأليف والترجمة والنشر خدمة للثقافة العامة إصدار سلسلة تتضمن كل حلقة منها زبدة وافية شائقة عن فرع من فروع العلم والفلسفة والأدب مؤلفة أو مترجمة بقلم أحد أعلام هذا العلم . وقد أصدرت إلى الآن الكتب الآتية :

		ص
١	الثورة الفرنسية : تأليف الأستاذ حسن جلال	١٠
٢	نابليون فى جزئين : « « « «	٢٠
٣	صلاح الدين الأيوبى : للأستاذ محمد فريد أبى حديد	٨
٤	الامتيازات الأجنبية : للأستاذ محمد عبد البارى	١٠
٥	الآراء الحديثة فى علم الجغرافيا : تعريب الأستاذ أحمد العدوى	٦
٦	سكان هذا الكوكب : تأليف الدكتور محمد عوض محمد	١٢
٧	مبادىء الفلسفة : تعريب الأستاذ أحمد أمين	١٠
٨	قصة الفلسفة اليونانية : للأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود	١٥
٩	البراجماتزم : للأستاذ يعقوب فام	١٢
١٠	عرض تاريخى للفلسفة والعلم : تعريب الأستاذ محمد خلاف	٦
١١	قواعد النقد الأدبى : تعريب الدكتور عوض	